نماذج من التصنيف السياسي من خلال السيرة النبوية

الدكتور عبد السلام بلاجي. [1]

مدخل وتمهيد:

منذ ابتعاث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإلى يومنا هذا، اشتغل الناس بسيرته وحياته، سواء في ذلك محبوه أو الكارهون له، واختلفت غايات المشتغلين ومقاصدهم، وتعددت طرقهم وأساليبهم في هذا الاشتغال، وتنوعت أصناف المشتغلين ما بين رواة وقصاصين، وكاتبين وأدباء وشعراء وخطاطين وفنانين وممثلين، وغيرهم.

ونركز في هذه الورقة على صنف خاص من العلماء وعموم الكاتبين، ونقصد بهم أولئك الذين اهتموا بالجانب أو الشأن السياسي –الداخلي والدولي– في السيرة النبوية أو من خلالها.

فهذه الورقة لا تدعي الاستقصاء ولا تقصده، لأنه يتطلب وقتا طويلا جدا، وقد أكد الدكتور صلاح الدين المنجد أن «التصانيف التي خصت برسول الله صلي الله عليه وسلم، أو تتعلق به آلاف مؤلفة»، كما لا يسعفنا الوقت بتحليل ومقارنة ما كتب أو بعضه، ولكننا سنحاول معالجة الموضوع من خلال التعريف بنماذج مختارة من الكتابات التي اهتمت بالزاوية السياسية باللغة العربية أساسا، أما اللغات الأخرى فيصعب في هذا الوقت المحدود الإشارة إليها فضلا عن الإحاطة بها. [2].

وسنعرض جهود بعض المصنفين من القدماء والمحدثين، آملين أن يكون ذلك نواة للتوسع مستقبلا في الموضوع، ثم نختم بخاتمة تتضمن خلاصة البحث فضلا عن بعض التوصيات والمقترحات.

---

(1) أستاذ الدراسات الإسلامية والعلوم السياسية ــــ الرباط.

(2) أورد الدكتور صلاح الدين المنجد في كتابه: معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (2491) مصنفاً مما صنف باللغة العربية، ويقول: «وما كدت أبدأ عملي حتى أدركت سعته وامتداده وتشعبه وصعوبته، فالتصانيف التي خصت برسول الله صلي الله عليه وسلم، أو تتعلق به آلاف مؤلفة«، أما بغيرها من اللغات، فأشار وائل عزت معوض إلى غزارته كذلك، معطيا نموذجا على ذلك بما «صنف باللغة الأردية؛ التي لم تصبح لغة تأليف إلا منذ قرنين على الأكثر، مستشهدا بقول السيد سليمان الندوي: «في تقديري أنما صنف بها وحدها في السيرة النبوية يبلغ ألفا إن لم يزد عليه». سليمان الندوي، الرسالة المحمدية، ص 96–97. انظر: معجم ما ألف عن رسول الله صلي الله عليه وسلم، صلاح الدين المنجد – ص 9. وتطور كتابة السيرة النبوية، وائل عزت معوض، موقع: http://www.alukah.net

القسم الأول: نماذج من جهود المصنفين القدماء:

ابتدأ المصنفون القدامى الاهتمام بالسيرة النبوية مبكرا، مما حفظ لنا السيرة النبوية بكل تفاصيلها وجزئياتها، وقد تنوعت مؤلفات السيرة النبوية ما بين تصانيف شاملة تناولت جوانب السيرة بصفة عامة وهي الأولى في التصنيف من حيث الفترة الزمنية، ثم ما لبثت التصانيف الموضوعية التي تهتم بجانب خاص من السيرة والسنة النبويين، وهكذا ظهر في المجال الذي يهم موضوعنا كتب المغازي، والسير، والفتوح، والنظم، والأحكام، والأقضية.... وغيرها. وسنحاول من خلال هذه الورقة استعراض نماذج مختارة للمؤلفات العديدة التي صنفت في هذا المجال.

أولا: كتب المغازي: كتاب المغازي للواقدي:

اهتمت هذه الكتب أساسا بالمعارك والغزوات والسرايا التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم، أي أنها تؤرخ لوقائع معارك التي خاضتها الدولة في العهد النبوي، ويتخلل ذلك استعراض للأحكام التي تناسب كل مرحلة من مراحل تلك الوقائع، فهي كتب للتاريخ العسكري وأحكام الحرب والسلم والحياة بصفة عامة، فلم يكن الدافع لتدوين السنة والسيرة دينيا فحسب، بل كانت كذلك "حاجة المجتمع الإسلامي إلى إرساء وتثبيت العقائد الدينية والأحكام التشريعية هي الحافز الأساسي". (1).

يعد كتاب المغازي لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي (131 هـ – 207) من أقدم الكتب التي وصلتنا في السيرة النبوية، وخاصة في تاريخ الحياة والغزوات النبوية، وهو يقدم زبدة سابقيه، لدرجة أوهمت البعض أنه "قد سطا على ابن إسحاق دون عزو إليه"، وليس ذلك صحيحا، بل الصحيح أنه "يمثل الصورة الأخيرة من مراحل تطور السيرة النبوية في القرنين الأول والثاني للهجرة". (2).

ويتميز أسلوب ومنهج الواقدي بمنهجية علمية ودقة متناهية، فهو يبدأ بذكر قائمة طويلة من الرجال الذين نقل عنهم، ثم "يذكر المغازي واحدة واحدة مع تأريخ محدد للغزوة بدقة، وغالبا ما يذكر تفاصيل جغرافية عن موقع الغزوة، ثم يذكر المغازي التي غزاها النبي بنفسه، وأسماء الذين استخلفهم على المدينة أثناء غزواته، وأخيرا يذكر شعار المسلمين في القتال، كل ذلك بالإضافة إلى وصفه لكل غزوة بأسلوب موحد: فيذكر أولا اسم الغزوة وتاريخها وأميرها... وإذا كانت الغزوة قد نزل فيها آيات كثيرة من القرآن، فإنه يفردها وحدها مع تفسيرها، ويضعها في نهاية أخبار الغزوة..

(1) انظر: مقدمة تحقيق كتاب المغازي، أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، تحقيق مارسدن جونس،ص 20.

(2) المرجع السابق،،ص 29.

وفي المغازي الهامة يذكر أسماء الذين شهدوا الغزوة وأسماء الذين استشهدوا أو قتلوا فيها". [1]. ولا يقتصر الواقدي على الحياة العسكرية كما يوحي بذلك عنوان كتابه، بل يلقي الضوء على جوانب من المجتمع الإسلامي الناشئ، "مثل الزراعة، والأكل، والأصنام، والعادات في "دفن الموتى، وعلى تكوين وتنظيم العيرات، وبالجملة على جميع مظاهر الحياة في المجتمع الإسلامي في الفترة بين الهجرة وموت النبيّ. ولذلك اعتبره المحقق "أكمل وأتم مصدر محايد –دون تعصب– لتاريخ حياة النبي في المدينة" [2].

ثانيا: الدولة ونظمها: كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعي:

يمثل كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصناع والعمالات الشرعية، لمصنفه علي بن محمد بن أحمد الخزاعي، نموذجا جيدا من المصنفات القديمة في مجال الدولة الإسلامية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. [3].

ينتمي الخزاعي (710 هـ – 789) إلى أسرة من أصول أندلسية عرفت بالعلم والفقه والخدمة مع الدولة، فقد اشتغل جد والده موسى وجده أحمد، بالقضاء بمدينة أدله وغرناطة بالأندلس في عهد الدولة النصرية، ثم انتقل جده إلى تلمسان ومعه ابنه محمد، وتوفي الجد بتلمسان وبقي فيها ابنه محمد فاشتغل مع ملوكها من بني زيان، فعمل كاتبا ثم وزيرا في أيام السلطان أبي زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن الزياني (703 هـ – 707)، ثم تقلد كتابة الأشغال السلطانية في ظل أبي تافشين عبد الرحمن الزياني (818 – 736)، وقد خلف الخزاعي أباه في خدمة بني عبد الواد بتلمسان، فتولى خطة الأشغال السلطانية للمتوكل على الله أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن (737هـ – 753)، ثم انتقل إلى فاس حيث عمل في خطة الأشغال السلطانية، في أيام السلطان المريني أبي عنان فارس الملقب بالمتوكل على الله (749هـ – 759). وبقي حتى آخر حياته في خدمة سلاطين بني مرين. [4].

عمل الخزاعي في كتابه على التأصيل لوظائف الدولة والعمل معها، وذلك بعد تجربة طويلة في خدمة الدولتين الزيانية والمرينية، فقام بتجميع الشواهد والأدلة من كتب السابقين للتأكيد على أهمية وشرعية وضرورة الخدمة في مصالح الدولة، وأنها ليست بدعة كما يظن الجاهلون والمتحاملون، يقول

(1) المرجع السابق،،ص 31.

(2) المرجع السابق،،ص 34.

(3) نشر الكتاب بتحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى 1985 م، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان.

(4) انظر مقدمة إحسان عباس لكتاب تخريج الدلالات السمعية، ص 1– 5.

في ذلك: "فإني لما رأيت كثيرا ممن لم ترسخ في المعارف قدمه، وليس لديه من أدوات الطالب إلا مداده وقلمه، يحسبون من دفع إلى النظر في كثير من تلك الأعمال في هذا الأوان مبتدعا لا متبعا ومتوغلا في خطة دنيّة، ليس عاملا في عمالة سنية، استخرت الله عز وجل أن أجمع ما تأدى إليّ علمه من تلك العمالات في كتاب يضم نشرها، ويبين لجاهليها أمرها، فيعترف الجاهل، وينصف المتحامل، فألفت هذا الكتاب... حتى أثبتّ لجميع ما تضمنه من الحرف والصنايع والعمالات التنويه والتشريف، بالنسبة الشرعية، والتتريه عن الظنّة السيئة البدعية". [1].

وقد قسم الخزاعي "كتابه إلى عشرة أجزاء: ثمانية منها في العمالات وواحد في الحرف والصناعات وباب ختامي، وانقسمت الأجزاء العشرة في 178 باباً، وتبدو دقة المؤلف في هذا الترتيب الذي سار عليه في كتابه، في الأجزاء والأبواب والفوائد، وتوزيعه للمادة في مواضعها، وعدم تورطه في التكرار سهواً، وتكراره لبعض المعلومات عمداً لأنها قد تقع في غير باب واحد؛ وتتجلى دقته في الإحالة على مصادره، وفي ذكر قائمة منها في آخر فصل من فصول كتابه، بحيث نقول إن الخزاعي يحترم النص ويعامله بأمانة؛ وقد جعل منهجه في كتابه أن يتحدث عن الخطة أو عن جانب منها في فصل من الفصول معتمداً على ما جاء في كتب الحديث بخاصة، ثم يعقد فصلاً تالياً للترجمة لمن تولوا تلك الخطة معتمداً في ذلك كتاب الاستيعاب لابن عبد البر في الأغلب. [2].

ثالثا: كتب السير: كتاب السير الكبير لأبي الحسن الشيباني:

يعد كتاب السير الكبير لأبي الحسن الشيباني (ت 189 هـ / 804 م). من أول وأهم ما وصلنا في مجاله، ونذكر أن سبب تأليف الكتاب "يعود لضرب من المنافسة بين علماء العراق وعلماء الشام". وفي ذلك يقول السرخسي شارح الكتاب: "فأما سبب تصنيف هذا الكتاب أن السير الصغير وقع في يد عبد الرحمن ابن عمرو الأوزاعي عالم أهل الشام. فقال: لمن هذا الكتاب؟ فقال: لمحمد العراقي. فقال: وما لأهل العراق والتصنيف في هذا الباب؟ فانه لا علم لهم بالسير. ومغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانت من جانب الشام والحجاز دون العراق، فإنها محدثة فتحا. فبلغت

(1) انظر كتاب تخريج الدلالات السمعية، ص 22.

(2) انظر مقدمة تحقيق كتاب تخريج الدلالات السمعية، ص 1- 5.

مقالة الأوزاعي محمدا فغاظه ذلك، وفرغ نفسه حتى صنف هذا الكتاب". [1]. وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون.

ويدور موضوع الكتاب حول جميع الأمور المتعلقة بالحرب وعلاقتها بالمشركين وأحكامها. فقد تكلم محمد بن الحسن عن أهل الإسلام وأهل الحرب المشركين وبين أحكام الأسرى من الفريقين سواء أكانوا رجالاً أم نساءً أم أطفالاً، وإسلام المشركين، والأمان على اختلاف ضروبه وألفاظه، والمستأمنين، والرُسُل الذين يفدون إلى دار الإسلام من دار الحرب، والحصانات التي يتمتعون بها، والغنائم، والصلح والتحكيم، والفداء، وأحكام السلاح والرقيق، والكراع، والأراضي التي يستولي عليها أهل الحرب في الحرب، وأهل الإسلام في دار الحرب، ونقض المعاهدات، وجرائم الحرب. هذا إلى مئات من المسائل المتعلقة بأهل الحرب وصلاتهم بالمسلمين في أيام السلم والحرب معاً.

وقد كان الشيباني بتأليفه في أمور تتعلق بالقانون الدولي، أسبق من غروسيوس Grotius الهولندي الذي عاش في القرن السابع عشر (1583 و1645 م)، وسمي أبا القانون الدولي لأنه بحث في بعض الأمور الخاصة بالقانون الدولي، كما سبق من سبق غروسيوس أو عاصروه مثل فيتوريا Vitoria وسواريز Suarey وفاسكويز Vasquez، من الفقهاء النصارى.. وقد أسست في غوتنجن بألمانيا أول جمعية علمية سميت جمعية الشيباني للقانون الدولي وضمت علماء القانون الدولي والمشتغلين به في مختلف بلاد العالم"، وقد انتخب رئيساً لها الفقيه المصري الكبير وعضو محكمة العدل الدولية بين عامي 1946 و1964 عبد الحميد بهجت بدوي، وانتخب الدكتور صلاح الدين المنجد نائباً للرئيس، ونظرا لأهمية الكتاب فقد نال عناية فائقة وترجم إلى عدة لغات، منها التركية أيام السلطان محمود خان، والإنكليزية وأهم شرح له بالإنكليزية هو شرح السرخسيّ والجمال الحصري.[2].

رابعا: مؤلفات عن الفتوحات: كتاب فتوح البلدان للبلاذري:

ذكر الدكتور صلاح الدين المنجد جملة من المصنفات التي ألفت في هذا المجال، منها فتوح النبي للمدائني (ت 225 هـ) مفقود، وفتوح البلدان للبلاذري (ت 279 هـ) مطبوع، والغزوات والفتوح لعبد الرحمن بن محمد حبيش الأندلسي (ت 584 هـ)، مخطوط. [3].

(1) مقدمة شرح السير الكبير، لمحمد بن أحمد السرخسي، تحقيق صلاح الدين المنجد، ص 3 متن.

(2) المرجع السابق، مقدمة صلاح الدين المنجد ص 13- 14. وانظر: الشيباني محمد بن الحسن، (132ـ 189هـ/748 ـ 804م)، محمد عزيز شكري، الموسوعة العربية، موقع: http://www.arab-ency.com

(3) انظر معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ص 140.

ومن المصنفات المشهورة فتوح البلدان للبلاذري، وتكمن أهمية الكتاب في كونه أحدث نقلة نوعية في كتابة السيرة النبوية، فلئن كان "المؤرخون الأول في الإسلام حتى ابن هشام (ت 218 هــ) قد عنوا بالسيرة والمغازي، فإن البلاذري من الذين وسعوا مادة هذا التاريخ، بحيث أصبحت تعنى بالفتوح الإسلامية على نطاق واسع، وذكر المظاهر المختلفة التي رافقت وقائعها وأحداثها، يقول أحمد أمين: وهذا ما دعا مؤرخي البلدان أن عقدوا الفصول الطويلة في أول كتبهم يبينون فيها حال البلد في الفتح، هل فتحت صلحا أو عنوة؟ وهذا الذي دعا البلاذري أن يفرد فيها كتابه المشهور: فتوح البلدان.". وقد تميز بأنه لا يكتفي بسرد الوقائع فقط، بل يقوم بتمحيصها ونقدها، "ببصيرة المؤرخ الناقد"، هذا من حيث الشكل والمنهج، أما من ناحية المضمون فيعتبر من "كتب التاريخ التي "توضح موقف النبي صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين، ومن تلاهم، في معالجة أحداث الفتوح، وذكر التشريعات التي راعوها، والأنظمة التي استنوها. ومثل هذا العمل أتاح للفقهاء أن يجدوا في فتوح البلدان وأمثاله، مستندات تشريعية مهمة، في معاملة أهل الذمة وتحديد الخراج والجزية". و لم يقتصر الكتاب على زمن النبوة بل ضم "أخبار الفتوح من عهد غزوات النبي حتى فتوحات السند". [1].

خامسا: كتب الإمامة ووظائفها: أقضية الرسول صلى الله عليه وسلم لابن الطّلاع القرطبي:

وهي كتب الإمامة والإفتاء والقضاء، التي تعرضت لرئاسة النبي صلى الله عليه وسلم للدولة، ووظائفه المرتبطة بتسيير شؤونها الدنيوية الدينية، كالقضاء والإفتاء، وغيرها، ومن هذه الكتب: كتاب أقضية الرسول صلى الله عليه وسلم، غير مسبوق في بابه، ألفه الفقيه الأندلسي أبو عبد الله محمد بن فرج المالكي القرطبي المعروف بابن الطلاع (404 هــ- 497)، ويعود تأليف الكتاب لسببين أولهما: سد الفراغ الحاصل في هذا المجال، والثاني: محبة لأقضية الرسول صلى الله عليه وسلم واقتداء بها، حيث يقول: "حملني على جمع هذا الكتاب أنني وجدت لأبي بكر بن أبي شيبة صاحب المسند -رحمه الله- كتابا من تصنيفه ترجمه بكتاب: أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم يذكر فيه إلا أقضية قليلة وهو كتاب صغير، ورأيت فيما روى أبو محمد الباجي عن أحمد بن خالد عن ابن وضاح قال **:سمعت** أبا بكر بن أبي شيبة يقول: نظرنا فيما قضى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بالقضاء فيه فلم نجده إلا نحو مائة حديث. فرأيت أن أتتبع أقضيته صلى الله عليه وسلم تبركا بها ومحبة فيها، حرصا

(1) انظر مقدمة تحقيق كتاب فتوح البلدان، عبد الله أنيس الطباع، ص 5- 6. مؤسسة المعارف بيروت، 1407 هــ - 1987 م.

على الاقتداء بها"، وقد جمع القرطبي مادة كتابه -حسبما ذكر في آخره- من أربعة وثلاثين ديوانا ما بين كتب الحديث والسير والتاريخ والتفسير والفقه واللغة والأدب. [1].

وقد استعرض فيه سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته مفتيا وحاكما (أي قاضيا). ويقول عن منهجه في الكتاب: أذكر فيه ما انتهى إليّ من أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم التي قضى بها، أو أمر بالقضاء فيها... أو بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حكم بها، أو بما أجمع العلماء عليه، أو بدليل من هذه الوجوه الثلاثة". [2].

ويذكر الدكتور محمد يسف في تقديم رسالته عن "المصنفات المغربية في السيرة النبوية"، أنه تردد في إدخال كتب أقضية الرسول صلى الله عليه وسلم ضمن كتب السيرة، على أساس أنها من كتب الأحكام الجامعة، ولكنه حسم أمره واعتبرها من السيرة مستعرضا منها ثلاثة مصنفات من بينها كتابنا هذا في فصل خاص من رسالته، مؤكدا أن "الناظر في كتاب ابن الطلاع لا يسعه إلا أن يضعه في صميم السيرة، بتركيزه على عصر المبعث واستخلاص ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم من مواقف وأحكام فيما واجه المسلمين من قضايا ونوازل، وما كان من أحداث في المجتمع الإسلامي الأول قضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رضي الله عنه في بيته وفي مغازيه، فجاء الكتاب غير مسبوق إليه من علمائنا المغاربة، في تجريد أحكام من سيرته صلى الله عليه وسلم في عصر المبعث، من السيرة النبوية، والأمر كذلك فيما قدمت من كتب الباب". [3].

القسم الثاني: نماذج من جهود المصنفين المحدثين:

اهتم المؤلفون المحدثون بالسيرة النبوية اهتماما كبيرا، وعرفوا الأجيال الجديدة بها بأساليب مناسبة للعصر وأهله: فمن منا لا يعرف نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضري؟ وفقه السيرة للشيخين: محمد الغزالي، ومحمد سعيد رمضان البوطي؟ وغزوات الرسول للشيخ محمد أحمد باشميل؟ والرحيق المختوم للشيخ صفي الرحمن المباركفوري؟ ومؤلفات القيادة النبوية: السياسية والعسكرية لمحمود شيت خطاب؟ وكتاب النور الخالد: محمد صلى الله عليه وسلم معجزة الإنسانية،

(1) أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو عبد الله محمد بن الفرج القرطبي، ص 137. وأحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم، عرض وتلخيص محمد خلف الله، ص 206.

(2) أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم، المرجع السابق، ص 7.

(3) مجلة دعوة الحق، العدد 260 ربيع النبوي 1407/ نونبر 1986، أو: www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/6704

لفتح الله كولن (مع عناية خاصة بالحلول النبوية للمعضلات، و القيادة العسكرية النبوية)، ومن الباحث الذي لا يعرف كتاب المنهج الحركي للسيرة النبوية لمحمد منير الغضبان؟ وغيرها الكثير.

وقد درس عدد من المؤلفين المحدثين موضوعات سياسية متنوعة انطلاقا من السيرة النبوية، بعناوين جديدة ومناهج مناسبة للعصر، واستفادوا من مناهج العلوم السياسية. وتراوحت مقاصد كتاباتهم -وهي كثيرة وبمختلف اللغات- ما بين التأصيل، والتقريب، والمقارنة، والدعوة، والرد على الخصوم، وخصوصا في العقود الأخيرة التي تميزت بالإساءة إلى الإسلام والمسلمين بصفة عامة، وشخص النبي صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة، وفيما يلي نماذج مختارة من هذه الكتب والمصنفات:

أولا: كتب عن الدولة الإسلامية ونظمها:

ظهرت كتب كثيرة في هذا المجال، منها كتاب الدولة الإسلامية الأولى، للدكتور محمد حسن العيدروس، والإدارة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، للدكتور حافظ أحمد الكرمي، وغيرها... [1]. ولكننا سنكتفي تحت هذا العنوان بعرض كتابين فقط، أولهما ينتمي لمدرسة أصيلة رغم معاصرته، والثاني لمدرسة حديثة متأثرة بالمناهج المعاصرة.

1- التراتيب الإدارية لعبد الحي الكتاني:

وهو كتاب طويل العنوان: نظام الحكومة النبوية المسمى كتاب التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلية، لمؤلفه محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني المغربي (1302 هـ - 1382).

سمع المؤلف بكتاب تخريج الدلالات السمعية لأبي الحسن علي بن محمد الخزاعي. فسعى بكل جهد للحصول عليه، فظفر بنسخة منه في مكتبة الزيتونة بتونس فاستنسخها وكان ينقصها الجزء العاشر والأخير، وحاول استدراك هذا النقص فلم يوفق، فزاد من تأليفه بمقدار أصل الخزاعي وزيادة،... لرغبته القوية في إيصال فكرة مؤداها: أن الحضارة الإسلامية التي نمت وأورقت في العهد الأموي ثم العباسي إنما وضعت أسسها وزرعت بذورها في عهد النبوة... وما من أمر من أمور الحياة المعاشية والإدارية إلا وله في صدر الإسلام أصل يرجع إليه.

اختار العلامة الكتاني نصوصا من كتاب التخريج وجعل تحتها خطا لتمييزها عما أضافه هو إليها. ثم استدرك عليه كثيرا من الأبواب والتفاصيل... وقد كان له إلى جانب نشاطه العلمي جانب

(1) الدولة الإسلامية الأولى، للدكتور محمد حسن العيدروس، دار الكتاب الحديث القاهرة، الطبعة الأولى 1421 هـ - 2001 م. الإدارة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، للدكتور حافظ أحمد عجاج الكرمي، دار السلام القاهرة، الطبعة الثانية 1428 هـ - 2007 م. سفراء النبي صلى الله عليه وسلم، للواء الركن محمود شيت خطاب، دار الأندلس الخضراء جدة، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م.

سياسي فخاض في غماره و لم يحالفه التوفيق، مما أغضب الكثيرين وفيهم أقاربه، ثم صودرت مكتبته الثمينة فسافر إلى فرنسا وأقام بها إلى وافته المنية عام 1962.

ولا تختلف مقاصد كتاب الكتاني عن مقاصد كتاب الخزاعي، فكلاهما يريد الرد على المشككين من أبناء عصره، والإثبات بالحج والبراهين أن الدولة النبوية كانت مكتملة البنيان تامة الأركان، يقول عن سبب تأليف الكتاب: "حتى يعلم الناس من أبناء ملتنا وعشاق التاريخ من غيرهم، أن النبي العربي قد مدّن الشعوب، ورقّى الأمم بما أسس لهم من مباني العمران، وسنّ من نظامات التقدم، وأنه يمر بك كثيرا أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بهذا الرقي والعمران بما أنزل الله عليه من آي ذلك وأساليبه، ولكن غفلوا عن ذكر كيفية تمشية ذلك النظام في ذلك الزمان، وحراس تلك التمشية، الذين كانوا يسهلون على الشعب العمل بآداب ذلك وأساليبه، ويسهرون على تمسك الأفراد بها". [1].

2- كتاب أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية في السيرة النبوية:

يتكون كتاب أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية في السيرة النبوية، من أربعة أبحاث، صاغها المؤلف الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العمري في مناسبات مختلفة وفترات متباعدة بينها في بداية كل بحث، وهي تلقي الضوء على جوانب من السيرة النبوية من زاوية حديثة وبأدوات منهجية وعلمية جديدة، كما قام الكاتب بتوثيق مجال مهم من مجالات التعريف بالسيرة النبوية بطرق معاصرة.

فالبحث الأول بعنوان: مبادئ التخطيط والإدارة في السيرة النبوية: وهو يبين "الأسلوب النبوي في الإدارة، سواء للدولة الإسلامية وأفرادها العاملين مع الرسول صلى الله عليه وسلم، أو لإدارته صلى الله عليه وسلم للأزمات". [2].

أما البحث الثاني فهو بعنوان: التجارة الخارجية للجزيرة العربية في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، ويعالج هذا البحث موضوع "العلاقات الخارجية التجارية للجزيرة العربية في العصر النبوي والراشدي، ويتضمن أهم مراكز التجارة العربية ذات العلاقة الخارجية، ومراكز التجارة العالمية ذات العلاقة بها". [3].

(1) كتاب التراتيب الإدارية، محمد عبد الحي الكتاني، ص 19. 22 من طبعة دار البشائر، و ص 7 – 8 من طبعة دار الأرقم.

(2) أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية في السيرة النبوية، الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العمري، ص 22.

(3) المرجع السابق، ص 23.

البحث الثالث، ويتناول مجالا مهما يتعلق بدور المرأة المسلمة في عهد الدولة النبوية والخلافة الراشدة –مضافا إليها مطلع الخلافة الأموية– وعنوانه: أثر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن في المجتمع المدني: عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه نموذجا، وقد دبج المؤلف هذا البحث انطلاقا من إيمانه بأن "الحديث عن أمهات المؤمنين جزء من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والتاريخ لبيت النبوة.... فهن معلمات ومصلحات اجتماعيات، ومرجعا للأمة عامة، فجاء هذا البحث ليغطي هذا الجانب في عهد معاوية، وليس ببعيد عن عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعصر الراشدين من الناحية الزمنية". [1].

البحث الرابع، وجاء تحت عنوان: الحاسب الآلي واستخداماته في علم السيرة، وهو عمل علمي توثيقي معاصر يعتبره المؤلف محاولة "لرصد الاستخدامات الجارية للحاسب الآلي في خدمة السيرة النبوية" حيث تحدث عن "المواقع الإلكترونية المهتمة بالسيرة النبوية دون حصر لها، إذ أنها تبلغ مئات الألوف، وكذلك ما نزل في الأسواق من أقراص مدمجة تخص السيرة النبوية"، ويتصور أنه قام بحصر "أهمها في زمن البحث، بل أستطيع القول كل هو معتبر ومتداول في محلات بيع الأقراص المدمجة بما يخدم السيرة في حينه... إلا أن الدراسة ترتبط بوقتها، فقد تصدر أقراص وأساليب جديدة في أي وقت... واستخدامات الحاسب ومواده تتغير في كل ساعة كما نعرف جميعا". [2].

كما أضاف في خاتمة البحث والكتاب معا، خمسة ملاحق عن مواقع إلكترونية للسيرة، وأخرى لبيع كتب السيرة، ومنتجات إعلامية وأشرطة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم روابط لمواقع عن السنة النبوية وما يرتبط بالسيرة، وأخيرا مواقع لشركات منتجة لبرامج تخدم السيرة النبوية. [3].

ثانيا: كتب عن العلاقات الدولية والقانون الدولي: كتاب الشرع الدولي في عهد الرسول:

ألفت في هذا لمجال كتب هامة، منها كتاب الشرع الدولي في الإسلام لنجيب الأرمنازي، نشر في سنة 1930 م من قبل مطبعة ابن زيدون ثم نشر بعد ذلك في طبعات متعددة، وكتاب الشرع الدولي في عهد الرسول للدكتور عبد الوهاب كلزيه، وسفراء النبي صلى الله عليه وسلم، للواء الركن

(1) المرجع السابق، ص 24.

(2) المرجع السابق، ص 25.

(3) المرجع السابق، ص 232 – 242.

محمود شيت خطاب، كما نشر لي بحث حول شريعة الحرب في السيرة النبوية، وسنتعرض في هذا العنوان كتاب الشرع الدولي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، للدكتور عبد الوهاب كلزيه. [1].

ينطلق الكاتب من أن "تعارف الشعوب تفرضه الطبيعة البشرية، ويندب إليه الدين الحنيف... فلا بد إذن من وضع قواعد شرعية تنظم هذه العلاقات في حالة الحرب وفي حالة السلم" وهذا ما فعله الإسلام الذي "شرع ودون وفصل هذه الحقوق الفريدة البارعة! فقد حرم قتل الأسرى والجرحى والنساء والولدان والشيوخ ورجال الدين... وحرم التمثيل والتحريق وتقطيع الشجر، ولم يكن هذا التشريع خياليا... إنه شرع وفصل وطبق هذه الحقوق الإنسانية تطبيقا يكاد يكون كاملا... ويعجب الباحث حقا حين يرى أن النبي عليه الصلاة والسلام، في فترة رسالته التأسيسية القصيرة قد وضع كل هذه القواعد الإنسانية وأمعن في الحض على تطبيقها".

وبعد تذكيره بقلة ما ألف في مجال الشرع الدولي في العهد النبوي، أكد أن كتابه "هو الأول من نوعه في كونه يدرس تلك الحقبة القصيرة، وفي كونه يحلل الأحكام الشرعية المستنبطة من القرآن والحديث"، وأنه ظهر "في أوقات حرجة جدا لم يبق فيها من الحقوق الدولية سوى اسمها فقط". [2].

وإذا سلمنا له بالمقدمة الثانية فلا نسلم بريادته خصوصا مع الجهد الذي بذله نجيب الأرمنازي، ولعله لم يطالعه إذ لم يشر إليه في مصادره، وهذا نقص في الكتاب لكنه لا يقلل من أهميته.

وقد قسم الكاتب كتابه إلى بابين: باب لشريعة الحرب، وثان لشريعة السلم، وهما مبحثا القانون الدولي الرئيسيين، ثم قسم الباب الأول إلى خمسة فصول: أحكام الجهاد، ومعاملة العدو، وضرورات الحرب، وأحكام الأملاك والأشخاص، وصلح العدو. وقسم الباب الثاني إلى خمسة فصول: المعاهدات، والسفارات، والوفادات، وأحكام الأملاك والأشخاص، والشرع الدولي في عهوده القديمة.

والخلاصة التي يسجلها لكتاب، أنه إذا كانت "حالة السلم هي الحالة الطبيعية" التي ينبغي أن تسود، فإن قانون الحرب يهتم بإدخال العامل الإنساني أثناء الحرب لتقليص ويلاتها، وقد لاحظ

(1) الشرع الدولي في عهد الرسول، الدكتور عبد الوهاب كلزيه، أما شريعة الحرب في السيرة النبوية، فهو بحث أنجز في دبلوم الدراسات العليا بكلية الحقوق بالبيضاء سنة 1979 م، باقتراح من أستاذي في القانون الدولي الدكتور إحسان هندي، ونشرته كلية الآداب بالرباط بعد تنقيحه سنة 1995 م، في كتاب ضمن أشغال ندوة دولية عن التشريع الدولي في الإسلام.

(2) الشرع الدولي في عهد الرسول، الدكتور عبد الوهاب كلزيه، ص 6 –7.

الكاتب أن دولة "الإسلام من أولى الدول التي سنت في صلب شريعتها، أحكاما خاصة مفصلة للحرب... ومن الأكيد أن جميع التلطيفات الدولية الحديثة للحرب، لم تصل عمليا إلى تلطيفات الإسلام لها". [1].

ورغم أهمية الكتاب والمنهج العلمي لمؤلفه، فقد كان ممكنا أن يرقى إلى مستوى أفضل.

ثالثا: التوثيق السياسي: الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله:

صنف الدكتور محمد حمِيد الله كتاب مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، وجمعه من مصادر قديمة ومراجع حديثة، عربية وغير عربية. وأوضح أن سبب تأليف الكتاب هو محاولة الفهم الصحيح لعصر النبوة، معبرا عن ذلك بقوله: "لما كان غير ممكن أن نفهم الحالة السياسية في عصر من العصور إلا بمراجعة الوثائق الرسمية التي تتعلق بذلك العصر، وهي من أجل المآخذ للحقائق التاريخية كان من الضروري أن نجمع الوثائق المتعلقة بالعصر النبوي حتى يتسنى لنا أن نفهمه فَهمًا صَحيحًا".[2]. وقد بذل المؤلف رحمه الله جهدا كبيرا في تصنيف كتابه، وراجعه في طبعاته الخمس، وتظهر جسامة الجهد أكثر إذا علمنا أنه "استمد مادة الكتاب من أكثر من أربعمائة مُؤلَّف، بين مخطوط ومطبوع، عربي وأجنبي، قديم وحديث، لمسلمين وغير مسلمين أيضا". [3].

قسم المؤلف كتابه إلى أربعة أقسام، هي: [4].

القسم الأول: وثائق العهد النبوي قبل الهجرة: ويشمل تسع وثائق: رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى النَّجَاشِيّ، وإقطاعه للدَّارِيِّيْن، ووثيقة مُقاطعة قريش للمسلمين، وصيغة بَيعة العَقبة الأولى والثانية والثالثة، ثم كتاب الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون مُعَلِّمًا، ورسالة منه صلى الله عليه وسلم إلى مُصْعَب بن عُمَيْر لإقامة صلاة الجمعة بالمدينة، وكتاب أَمَان لسراقة بن مالك.

القسم الثاني: وثائق العهد النبوي بعد الهجرة: ويضم ثمان وستين وثلاثمائة وثيقة، منها: كتابه صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار واليهود، ومكاتبة كفار مكة مع منافقي المدينة ويهودها، وكتابه لعبد الله بن جحش بترصد قريش، وكتبه إلى عمه العباس، وأبي سفيان قبل الخندق ووقت

---

(1) الشرع الدولي في عهد الرسول، مرجع سابق، ص 12– 13.

(2) مجموعة الوثائق السياسية، الدكتور محمد حميد الله، مقدمة الطبعة الأولى، ص 23.

(3)التعريف بتراث الإسلام، سامي توني محمد عبد الغفار، المكنى بأبي الفداء، ص 3. وانظر موقع: www.ommati.com

(4) مجموعة الوثائق السياسية، مرجع سابق، ص 26 — 28. وتعريف بكتاب مجموعة الوثائق السياسية، مرجع سابق، ص 1– 3.

الخندق، وإلى خالد بن الوليد يدعوه للإسلام، وإلى النجاشي، وهرقل، وأسقف الروم في القسطنطينية، وأسقف أيلة، والحارث بن أبي شَمِر الغَسَّانِيّ ملك غَسَّان، والمُقَوْقَس، وكِسْرَى أبرويز عظيم فارس، والهرمزان عامل كسرى، وأسيبخت عامل البحرين لكسرى، وهوذة بن علي شيخ اليمامة، وجيفر وعبد ابني الجلندى (شيخي عمان)، وباذان الفارسي ملك اليمن... وغيرهم. ونص صلح الحديبية، ومعاهداته مع أهل جرباء وأذرح، ومع أهل مَقنا، وبني ثعلبة من غسان، ومع نصارى نجران، وبني ضمرة وبني مدلج، ومجدي بن عمرو سيد بني ضمرة، ووثائق إقطاعه أراض ومياه لجملة من الصحابة. فضلا عن نص خطبته صلى الله عليه وسلم أيام فتح مكة، وخطبة حجة الوداع. وغيرها من الوثائق.

القسم الثالث: وثائق عهد الخلافة الراشدة، واشتمل على ثلاث وثلاثين ومائتي وثيقة من مراسلات ومعاهدات وتعليمات وإقطاعات كُتِبَت في عهد الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم .

القسم الرابع: ملحقات، ويضم عشرة وثائق منها "بعض الكتب المنسوبة إلى النبي، كعهوده للنصارى والمجوس، ومثلها كثير ولا يكاد يصح، وإنما نقلناه كأنموذج في الوضع والاختلاق".

خاتمة الورقة: خلاصات وتوصيات:

إن أهم نتيجة تتبين لنا بكل جلاء ووضوح مما سبق من مباحث وغيرها، أن دولة عهد النبوة كانت ذات نظام اجتماعي وسياسي واقتصادي وإداري متكامل، وليس بدائيا أو قبليا كما يظن البعض، صحيح أنه كان نظاما وليدا في مراحل تخلقه الأولى، لكنه وليد كامل الصورة والملامح، وحتى النظام الإداري تأكد بالبحث الجاد أنه كان مؤسسا على عكس ما كان شائعا، فعندما "دون سيدنا عمر الدواوين في خلافته، لم يعمل إلا استدامة النظام الإداري الذي ورثه من العصر النبوي".[1].

أما أهم المقترحات والتوصيات التي نرى إثباتها في هذا المجال، فتتجسد في:

- ضرورة تدريس السيرة النبوية في جميع أسلاك التعليم.

- تدريس القانون الدولي في الإسلام وأصوله في القرآن والسنة والسيرة بالجامعة، وخصوصا في كليات الحقوق والشريعة، وشعب الدراسات الإسلامية.

(1) مقدمة الطبعة الخامسة، مجموعة الوثائق السياسية، الدكتور محمد حميد الله، مرجع سابق، الصفحة: ب.

– تشجيع الهيئات والوزارات المختصة للتأليف والنشر في موضوعات: السياسة الشرعية في السيرة والسنة.

قائمة لبعض المصادر والمراجع المختارة:

أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية في السيرة النبوية، الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العمري، الطبعة الأولى 1426 هـ – 2005 م.

الإدارة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، للدكتور حافظ أحمد عجاج الكرمي، دار السلام القاهرة، الطبعة الثانية 1428 هـ – 2007 م.

الدولة الإسلامية الأولى، للدكتور محمد حسن العيدروس، دار الكتاب الحديث القاهرة، الطبعة الأولى 1421 هـ – 2001 م.

أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو عبد الله محمد بن الفرج القرطبي، عرض وتلخيص محمد خلف الله، دار كنوز للإنتاج الإعلامي القاهرة، 1408 هـ – 1988 م.

أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو عبد الله محمد بن الفرج القرطبي، دار الكتاب العربي بيروت، 1426 هـ،

كتاب التراتيب الإدارية، محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تصحيح عبد الله بن عبد السلام العتم، دار البشائر بيروت، الطبعة الأولى 1432 هـ – 2001 م.

كتاب التراتيب الإدارية، محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق عبد الله الخالدي، الطبعة الثانية (د. ت. ن)، دار الأرقم بيروت.

تعريف بكتاب مجموعة الوثائق السياسية، من كتاب التعريف بتراث الإسلام، لأبي الفداء سامي التوني، موقع:

سفراء النبي صلى الله عليه وسلم، للواء الركن محمود شيت خطاب، دار الأندلس الخضراء جدة، الطبعة الأولى 1417 هـ – 1996 م.

الشرع الدولي في عهد الرسول، الدكتور عبد الوهاب كلزيه، دار العلم للملايين بيروت الطبعة الأولى، يناير 1984 م.

شريعة الحرب في السنة النبوية، ضمن ندوة التشريع الدولي في الإسلام، منشورات كلية الآداب، الرباط 1995.

كتاب المغازي، أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، تحقيق مارسدن جونس، الطبعة الثالثة 1404 هـ – 1984 م، عالم الكتب بيروت.

مجموعة الوثائق السياسية، الدكتور محمد حميد الله، الطبعة الخامسة، دار النفائس بيروت، 1405 هـ - 1985 م.

مجلة دعوة الحق المغربية، العدد 260 ربيع النبوي 1407/ نونبر 1986، أو: www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/6704